11 - خبر إن من قوله : { إن الذين جاؤوا بالإفك } هو { عصبة } و { منكم } صفة لعصبة وقيل هو { لا تحسبوه شرا لكم } وتكون عصبة بدلا من فاعل جاءوا قال ابن عطية : وهذا أنسق في المعنى وأكثر فائدة من أن يكون الخبر عصبة وجملة لا تحسبوه وإن كانت طلبية فجعلها خبرا يصح بتقدير كما في نظائر ذلك والإفك أسوأ الكذب وأقبحه وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه فالإفك هو الحديث المقلوب وقيل هو البهتان وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين وإنما وصفه ا بأنه إفك لأن المعروف من حالها Bها خلاف ذلك قال الواحدي : ومعنى القلب في هذا الحديث الذي جاء به أولئك النفر أن عائشة Bها كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف النسب والسبب لا القذف فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه فهو إفك قبيح وكذب ظاهر والعصبة هم الجماعة من العشرة إلى الأربعين والمراد بهم هنا عبد ا بن أبي رأس المنافقين وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقيل العصبة من الثلاثة إلى العشرة وقيل من عشرة إلى خمسة عشر وأصلها في اللغة الجماعة الذي يتعصب بعضهم لبعض وجملة { لا تحسبوه شرا لكم } إن كانت خبرا لإن فظاهر وإن كان الخبر عصبة كما تقدم فهي مستأنفة خوطب بها النبي A وعائشة وصفوان بن المعطل الذي قذف مع أم المؤمنين وتسلية لهم والشر ما زاد ضره على نفعه والخير ما زاد نفعه على ضره وأما الخير الذي لا شر فيه فهو الجنة والشر الذي لا خير فيه فهو النار ووجه كونه خيرا لهم أنه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براءة أم المؤمنين وصيرورة قصتها هذه شرعا عاما { لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم } أي بسبب تكلمه بالإفك { والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } قرأ الحسن والزهري وأبو رجاء وحميد الأعرج ويعقوب وابن أبي علية ومجاهد وعمرة بنت عبد الرحمن بضم الكاف قال الفراء : وهو وجه جيد لأن العرب تقول : فلان تولى عظيم كذا وكذا : أي أكبره وقرأ الباقون بكسرها قيل هما لغتان وقيل هو بالضم معظم الإفك وبالكسر البداءة به وقيل هو بالكسر الإثم فالمعنى : إن الذي تولى معظم الإفك من العصبة له عذاب عظيم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما .

واختلف في هذا الذي تولى كبره من عصبة الإفك من هو منهم ؟ فقيل هو عبد ا بن أبي وقيل هو حسان والأول هو الصحيح وقد روى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي A جلد في الإفك رجلين وامرأة وهم مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وقيل جلد عبد ا بن أبي وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ولم يجلد مسطحا لأنه لم يصرح بالقذف ولكن كان يسمع ويشيع من غير

تصريح وقيل لم يجلد أحدا منهم قال القرطبي : المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين حدوا : حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد ا بن أبي ويؤيد هذا ما في سنن أبي داود عن عائشة قالت : لما نزل عذري قام النبي A فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم : حسان ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش .

واختلفوا في وجه تركه A لجلد عبد ا بن أبي فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة وحد من عداه ليكون ذلك تكفيرا لذنبهم كما ثبت عنه A في الحدود أنه قال : [إنها كفارة لمن أقيمت عليه] وقيل ترك حده تألفا لقومه واحتراما لابنه فإنه كان من صالحي المؤمنين وإطفاء لنائرة الفتنة فقد كانت ظهرت مباديها من سعد بن عبادة ومن معه كما في صحيح مسلم ثم صرف سبحانه الخطاب عن رسول ا A ومن معه إلى المؤمنين بطريق الالتفات